

باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين*

لابن المقفع

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ، لِبَيْدَبَا الْفِيلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ، فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ، وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ. قَالَ الْفِيلَسُوفُ:

إِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ، وَالثَّعْلَبِ، وَمَالِكِ الْحَزِينِ. قَالَ الْمَلِكُ:
وَمَا مَثَلُهُنَّ؟

قَالَ الْفِيلَسُوفُ: رَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي السَّمَاءِ. فَكَانَتِ الْحَمَامَةُ تُشْرَعُ فِي نَقْلِ الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ، فَلَا يُمْكِنُهَا مَا تَنْقُلُ مِنَ الْعُشِّ، وَتَجْعَلُهُ تَحْتَ الْبَيْضِ، إِلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ، لَطُولِ النَّخْلَةِ وَسُخْقِهَا. وَكَانَتْ، إِذَا فَرَعَتْ مِنَ النَّقْلِ، بَاضَتْ، ثُمَّ حَضَنْتْ بَيْضَهَا، فَإِذَا انْقَاضَ وَأَذْرَكَ فِرَاحُهَا، جَاءَهَا ثَعْلَبٌ قَدْ تَعَهَّدَ ذَلِكَ مِنْهَا لَوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ، رَيْثَمَا يَنْهَضُ فِرَاحُهَا، فَوَقَفَ بِأَصْلِ النَّخْلَةِ، فَصَاحَ بِهَا، وَتَوَعَّدَهَا أَنْ يَرْفِيَ إِلَيْهَا، أَوْ تُلْقِي إِلَيْهِ فِرَاحَهَا، فَتُلْقِيهَا إِلَيْهِ. فَبَيْنَمَا هِيَ، ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ أَذْرَكَ لَهَا فِرْخَانِ، إِذْ أَقْبَلَ مَالِكُ الْحَزِينِ، فَوَقَعَ عَلَى النَّخْلَةِ. فَلَمَّا رَأَى الْحَمَامَةُ كَيْبَةً، حَزِينَةً، شَدِيدَةً أَلَمًا، قَالَ لَهَا: يَا حَمَامَةُ مَا لِي أَرَاكَ كَاسِفَةً الْبَالِ سَيِّئَةِ الْحَالِ؟ فَقَالَتْ لَهُ: يَا مَالِكُ الْحَزِينُ، إِنَّ ثَعْلَبًا دُهِبْتُ بِهِ، كُلَّمَا كَانَ لِي فِرْخَانِ جَاءَنِي يَتَهَدَّدُنِي، وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ، فَأَفِرُّقُ مِنْهُ، فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فِرْخِي. قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَزِينُ: إِذَا أَتَاكَ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ، فَقُولِي لَهُ: لَا أَلْقِي إِلَيْكَ فِرْخِي، فَأَرْقُ إِلَى وَغَرَّرَ بِنَفْسِكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، وَأَكَلْتَ فِرْخِي، طَرْتُ عَنْكَ، وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي. فَلَمَّا عَلِمَهَا مَالِكُ الْحَزِينُ هَذِهِ الْحِيلَةَ، طَارَ فَوَقَعَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ. وَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَرَفَ، فَوَقَفَ تَحْتَ النَّخْلَةِ، ثُمَّ صَاحَ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، فَأَجَابَتْهُ الْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكُ الْحَزِينِ. فَقَالَ لَهَا: أَخْبِرِيْنِي مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قَالَتْ: عَلَّمَنِي مَالِكُ الْحَزِينِ. فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكَا الْحَزِينِ، عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، فَوَجَدَهُ وَاقِفًا. فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ: يَا مَالِكُ الْحَزِينُ، إِذَا أَتَاكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ، فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قَالَ: عَنْ شِمَالِي. قَالَ: إِذَا أَتَاكَ عَنْ شِمَالِكَ، أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قَالَ: أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي. قَالَ: إِذَا أَتَاكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَكُلُّ نَاحِيَةٍ، أَيْنَ تَجْعَلُهُ. قَالَ: أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي. قَالَ: وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِكَ؟ مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ. قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فَلَعَمْرِي، يَا مَعْشَرَ الطَّيْرِ، لَقَدْ فَضَّلَكُنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا. إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، مِثْلَ مَا نَذْرِي فِي سَنَةٍ، وَتَبْلُغُنَّ مَا لَا نَبْلُغُ، وَتُدْخِلُنَّ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ. فَهَنْئِئاً لَكُنَّ، فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِيهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ مَكَانَهُ، فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ هَمَزَةً دَقَّتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ، وَتُعَلِّمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا، وَتَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَتِمَّكَ مِنْكَ عَدُوُّكَ. ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ. أَلْهَمَنَا اللَّهُ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ لِمَا يَأْمُرُونَ، وَالْمُنْتَصِحِينَ بِمَا يَنْصَحُونَ.

(*) من كتاب كلية ودمنة لابن المقفع صفحة ٢٢٩ (الشركة اللبنانية للكتاب).

الطائر والغضب

شعر: سعيد عاشور

صوتٌ قال	كان الطائر
قم نذبحه	يجلسُ خلفي
عجباً مني، ومنك، ومنهم	يسمع صوتي
قالوا جميعاً إلا يذبح	رتل شعراً
آه مني، ومنك، ومنهم	ترك الأسطح
قمتُ ألملم جرح النفس	والشباك
النازف في	كان يؤانس
فضاء الكون	حزن الصوت
أو أن أجمع خيل الوقتِ	النابض في
زاد الوهَجُ	فضاء الكون
بداخل نفسي	من إخواني
قمتُ أدمدمُ	لمح الطائر
فوق رؤوس	من شبّاكي
الخلق جميعاً	مدّ يديه مسك الطائر
سخطي، غضبي!	زاد الحزن النابض في
قمتُ أقطّع	حتى الطائر ملّ العيش
كل رؤوس	كان يقيني
الجبارين الأفاقين	أن للطائر بين الكون
وحين أفقت من الأوهام	مجالاً أوسّع
وحين تيقن وهني، عجزني	يسبحُ يمرحُ
كنت أصارع قهر النّوم	دون الورق أو الأختام

قلب في مهب الريح

شعر: أماني مسعد الفلاحه

أيا حلم الهوى طال التمني	وذاق القلبُ بعدَ الروحِ عني
كأنّي كنت تائهة كأنّي	مضت روعي وكانت لا تغني
كأنّي كنت عصفوراً شريداً	وقد أخذت أماني الصمت مني
شذا روعي ونجوى طول صبري	وشوق البعد للّقا يغني
يمنى القلب في نفحات عطر	ببعد الشوق والآهات عني
وقلبي قد ذوى ودنت غصون	لتلقاها يد النسيان مني
وصرنا كالطيور بغير عيش	نهاجر حيث يلقينا التدني
ونبني حلمنا يوماً فيوماً	ويهدمه الفراق بلا تأن

تعليق (المحرر)

* الطائر والغضب لسعيد عاشور، يمكن أن تكون هذه القصيدة ثورة ضد الظلم والظالمين حتى لو اتخذت شكل الحلم إطاراً تعبيرياً جسد هذه المشاعر الخيرة الإنسانية، وحقيقة تبشر بشاعر واعد سوف يزيده الاتصال بالشعر ودواوينه -قراءة ودرسا- مزيداً من العطاء المتجدد في شكل فني راق..

* قلب في مهب الريح - لأماني مسعد الفلاحه، تجربة صادقة، حاولت أن تأخذ شكلها الفني الملائم وهي واعدة بقدم راسخة إن شاء الله في هذا المجال، لكن القلق وعدم الاستقرار يتهددان هذا القلب الذي يمكن أن يجد في الشعر. قراءة وإبداعاً مجالاً يعوضه عن القلق، فلا يكون في مهب الريح.

جناية العلمانية

على «شقائق النعمان»

بقلم / حيدر قفّة*

الأديب الناشئ - وفي محاولته الأولى - يكون غير مستقر الرؤية، والغالبية العظمى من هؤلاء يكون عملهم الأول متصفاً بصفتين:

الأولى: أن فيه شيئاً من تجربته الخاصة، بل ربما في معظمها يتحدث عن نفسه، ذلك لأن محيطه وذاته هما الأقرب إلى إمكاناته الفنية، وليست له المقدرة بعدُ للابتعاد عن ذاته، ومن هنا تكون كتاباته أقرب للمذكرات أو الاعترافات، لكنها تكون مشحونة بالصدق، والعاطفة الجياشة، وإن كانت - على المستوى الفني - دون ذلك.

الثانية: أنه يحاكي السائد في مجتمعه من النماذج الأدبية التي تستهويه، لأنه يعتبرها الحائزة على جواز السفر إلى عالم الأدب والشهرة، وهما عالمان يدغدغان رؤاه وأحلامه، فهو يقلد هذه النماذج ويحاكي على منوالها بكل إيجابياتها وسلبياتها، ولا يستقل بشخصيته، ويرسم لنفسه خطأً مميّزاً إلا بعد أن يترسخ قدمه، وتعلو قامته، عندها يستطيع أن يجاهر بخطئه أو يتميز بنهجه. وقد يصبح فيما بعد صاحب مدرسة خاصة في هذا الفن من الأدب تخالف السائد المتعارف عليه.

وأديبتنا السيدة سحر ملص واحدة من هؤلاء، لا سيما في مجموعتها الأولى «شقائق النعمان» - التي نحن بصدد دراستها - وقد صدر لها بعد ذلك مجموعات أخرى، لم أطلع عليها بعد، ولذا سيكون حديثي محصوراً في «شقائق النعمان» وحدها.

«شقائق النعمان» مجموعة قصصية تقع في أربع وتسعين صفحة من القطع المتوسط، تحتوي على سبع عشرة قصة قصيرة، تدور كلها حول همّ الأنثوي العام:

طفولة الطفلة، ومعاناة الصبية، وحرقة الشابة في البحث عن زوج أو انتظاره، وحنين المرأة للأمومة، ومعاناة الزوجة لهجر الزوج، وربما تجنح إلى تحميل الرجل وحده مسؤولية هذه المعاناة. والملاحظ أنها في قصصها الأولى (ليلة زفاف، ليل بوذي،

عشاء اللصوص، الهذيان، ليلة حب، السراب، حريق المدينة، اللحظة الحرجة، حصاد العمر) أي إلى ص ٥ كانت قصصها تحمل صدقاً في الإحساس، وعمقاً في المعاناة، فلكأني بها جزءاً من حياتها أو معاناتها، وإن لم تكن كذلك، فإنها تحمل الكثير منه.

بينما في القصص الأخيرة - أي القسم الثاني من الكتاب - كانت القصص تفوح منها رائحة الصنعة، لا حرارة التجربة، فكأنها قد وضعت لنفسها هدفاً في كل قصة تريد توصيله للقراء، بتعبير آخر، كانت قصصاً وليدة قصد وتعمد؛ لتبلغ رسالة محددة.

ويلاحظ القارئ أيضاً، أن «الليل» قاسم مشترك بين قصص المجموعة كلها، وهذا يقوي الإحساس بالمعاناة لدى النماذج النسائية التي طرحتها، فكما تقول العرب: «الليل أخفى للويل»، وهنا يكون الليل رمزاً للقتامة التي تغلف رؤية المرأة للمستقبل، كما أنه الوعاء الذي يحمل أرقها وهمها وخوفها من المستقبل المجهول.

واستخدام الكاتبة لضمير «المتكلم» في البنية السردية لقصص المجموعة كلها له دلالة خاصة، حيث يقوي الإحساس بصدق التجربة في بعض قصصها، وفي تقمص شخص آخر في قصص مماثلة، هذا من جانب، ومن جانب آخر يدل على قوة شخصية الكاتبة. وهذا الأسلوب في السرد القصصي يمكن القاص من التعمق في نفسية الشخصية؛ حتى يستخرج من مكنونها الداخلي كل الانفعالات.

والسيدة سحر ملص سيدة مسلمة، من بيت طيب، له جذوره الممتدة في التقوى والخوف من الله، وهذا يجعلها دائمة الحنين إلى هذا النمط من السلوك، لكن فترة التفتح على الحياة، والتي تمثل عندها مرحلة الصبا الأولى، كانت في الستينات

(*) باحث وناقد أردني، له عدد من الدراسات الأدبية والبحوث الفكرية.

سيطرة العلمانية على وسائل

الإعلام أُنشأت نماذج فاسدة

تهدم القيم

تُغفل الهمزات في معظم ما كتبت، وتهمل استخدام علامات الترقيم - أو لا تراعي الدقة في استخدامها- مما يوقع القارئ في التباسات كثيرة، فعلى سبيل المثال تقول: «أصل قاعة المسافرين الأخيرة بانتظار ركوب الطائرة في الصالة، وجوه بشرية مختلفة عرب وأجانب ص ٩» فوضع الفاصلة (،) بعد كلمة (في الصالة) جعل القارئ يظن أن الطائرة في الصالة، وهذا محال، وحق الفاصلة أن توضع بعد كلمة (الطائرة) ليستقيم المعنى. ومثله التعبير التالي: «وجه أمي المشقق .. أمي الغسالة يطل أمامي ينضح عرقاً ندياً ص ٦١» وهو تعبير غير موفق، فإما أن تعيد كلمة (وجه أمي) بعد كلمة الغسالة، أو تضع (أمي الغسالة) بين شرطين كجملته تفسيرية توضيحية.

وهناك أخطاء نحوية ولغوية وتركيبية، مثل: «أين صدرك يتسع له رأسي ص ٥» والصواب يتسع لرأسي، «وتحمل النوعية نفسها ص ٩» والصحيح نفسها، «ولم يترك يوماً في عيوني ص ٥٨» بالجمع والصواب الثنية (في عيني). أما في التركيب والمعنى، فهناك بعض الهنات مثل «يحمل صلبانه ص ١١» فهل للبوزي صلبان؟!، و«عمت صباحاً يا أستاذ ص ٧٧» يقولها تلاميذ صغار في القرن العشرين، وما عليها لو قالوا: «صباح الخير» مثلاً بدلاً من ذلك التعبير المخرق في القدم، وتقول «ربيبة روبرت ص ٩٢» وتقصد زوجته أو حبيبته أو خطيبته، والربيبة هي ابنة الزوجة تعيش في كنف زوج أمها، وليست زوجة أو حبيبة أو خطيبة.

أما في مجال الأفكار، فتطرح أفكاراً مهمة، منها معرفة المخابرات بدقائق حياة الناس، إلا جوعهم ومعاناتهم، فلماذا؟! ص ٨١ وسلبية الناس العاديين أمام الأحداث الجسام، لا سيما التي تمس حياتهم ومستقبلهم، تاركين المجاهدين أو أهل المبادئ لمصائرهم، فهل كان صراع هؤلاء وجهادهم لمصالحهم الشخصية، أم للوطن والجميع، فلماذا يخذلونهم ص ٨٣.

أما المنحى الإسلامي في المجموعة فهو ضعيف جداً لدرجة العدم، بل هناك ما يناقض التصور الإسلامي، فقولها: «أحببت البوزي تماماً كالمسلم أو المسيحي ص ٤١» لا يتفق مع التصور

والسبعينات وفي هذه الفترة كان القدح الممل في الفن القصصي - لا سيما عند النساء - لسيدات ثلاث هن: ليلي بعلبكي، وكوليت خوري، وغادة السمان، وهؤلاء الثلاث كنّ يمتلكن ثقافة أجنبية، مع افتتان بالغرب المادي بلغ حد الهوس، وكن يقدرسن كل شيء تأتي به الريح من أقطاره، ولو كانت رياح السموم، فكن يقدرسن ثقافته وأدبه تقدسياً يبلغ حد المعارضة للدين، وكل ما تعارف عليه أهل الشام من قيم، مع جرأة تبلغ حد القمة أحياناً في طرح بعض الأفكار، والمجاهرة بسلوكيات يندى لها الجبين، وكُنَّ - تحت ستار الحرية والتحديث والتطور - يُرذُنن تحذير هذه الرؤى، وتجريء الفتيات والنساء على تحطيم كل القيم، بحجة محاربة التقاليد البالية، فكان إنتاجهن مما تحجل العذارى من قراءته في خدورهن.

وساعد في انتشار هذه النماذج، سيطرة العلمانية بكل اتجاهاتها - وعلى رأسها اليسار - على وسائل الإعلام، فدفعوا بهم إلى الصدارة؛ لتحطيم الدين والقيم.

في هذا الجو المسموم كان تفتح برعم سحر ملص الأدبي، وتلك هي النماذج التي تقلدها، وتنسج على منوالها، دون انتباه منها إلى خلفية هؤلاء النسوة الدينينة، أو توجههن الفكري، وانتمائهن العقائدي (الأيديولوجي). ودون وعي منها استنشقت زفيرهن.

بهذه المقدمة عن خلفية الفترة التي تفتح فيها برعم سحر ملص الأدبي، ومكوناتها الثقافية نستطيع الولوج إلى مجموعتها «شقائق النعمان». بيد أن دخولنا عالم شقائق النعمان لا يعني أن نفق عند كل قصة، وحسبنا أن نشير إلى المكونات الأساسية للمجموعة كلها، وأظهر ما لفت نظرنا فيها.

فعلى مستوى اللغة، نجد لها، تملك لغة قصصية جيدة، ولها تعبيرات رائعة، وصور جميلة، تتغلغل في نسج قصصها كلها، مما يعجز الباحث أن يتقصاها كلها، أو يرهق القارئ في تتبعها، وحسبنا أن ندلل على قولنا ببعض هذه العبارات، فتقول: «أنا كبرت وأحلامي صغرت، انفرطت حلماً تلو الآخر ص ٧»، «سندخل كهوفاً لن يجرؤ البرق على إضاءتها ص ٢٨» «سور واحد.. وطرقاً الليل على الجدران التي كانت تنفذ عبر الزنازين ما زالت تطرق أذني، كنت أناغم الطرق بمثله، إيقاع طالبي الحرية لا يختفي عبر الزمن، يميزه حتى طفل رضيع تقيده ثيابه ص ٧٠» وصور أخرى.

بيد أن القاصة تقع في أخطاء، ربما سببها قلة التجربة، وعشرات بداية الطريق، وبعد الاختصاص - فهي صيدلانية - وهيمنة لغة الجرائد والإعلام على الناس قاطبة. فعلى مستوى الكتابة